لغة العرب

مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية

الجزء الثاني عن شعبان سنه ١٣٢٩ ـ آب سنة ١٩١١

المتفق (*)

عقدنا ضميرنا على ان نكتب كثيراً عن اعراب العراق . الآن عملنا هذا يجرنا الى اعادة العنوان الواحد مراراً عديدة . وهذا مما يدفع الى السأم فحذراً من هذه الرطمة قصدنا ان نصدر البحث الواحد بعناوين اقسامه دفعاً للملل وتشويقاً لمطالعة الموضوع . وها نحن نبتدئ باصل معنى المتفق.

اعراب المتفق يلفظون الكلمة « المتفج » بميم مضمومة بعدها نون ساكنة يليها تاء مثناة مفتوحة وورآءها فاء مكسورة وفي الآخر

(*) كنا قد اعددنا هذه المقالة للعدد الاول لكن كثرة المواضيع حالت دون اثباتها . ولهذا جاء الكلام عن المتفقة مبتوراً بعض البتر ففيه احالة نظر على كلام سابق وليس هناك ما يثبت هذه الاحالة .

جيم مثلثة النقط فارسية اللفظ كما فى جيم جهره وجهار وجه الفارسيات التركيات . وانت تعلم ان كل مايلفظه الاعراب بالجيم المثلثة هو بالكاف العربية اذلا يسمع منهم لفظ الكاف الخفيق الا نادراً فهم يقولون مثلاً جال وحجي وشبجه وشباج فى كال (يكيل) وحكى (يحكى) وشبكة (للصيد) (وشباك للطاقة اوالنافذة) وعليه : فيكون فى لفظة المتفق لغة ثانية وهى « المتفك » على انك اذا تسمعت بعضهم ممن يحسنون اللفظ والكلام تحققت انهم يقولون « المتفج » بالجيم العراقية الفصيحة وهى الجيم المنصوص عليها فى كتب النحاة والصرفيين والقراء والمجودين لا الجيم الشامية او المصرية . واعراب المتفق كسائر اعراب البادية لايعرفون لفظ القاف الفصيح وهم يكرهونه اشد الكراهية ويقلبونه جيماً عراقية ايما وقعت وفى اى لفظة جاءت ومنهم من ينطق بها كافاً فارسية كما فى كلستان وكوز وكرم الفارسيات .

وعليه ففى لفظة « المتفق » خمس لغات وهى المتفق بقاف والمتفك بكاف والمتفج بجيم والمتفك بكاف فارسية والمتفج بجيم فارسية وفصحاهن الاولى لانها هكذا وردت فى كتب الاقدمين من البلغاء وهى لا تزال ترد بهذه الصورة فى من يتحرى الفصيح فى كتابته وكلامه كما يتضح لك صحة هذا اللفظ من الشواهد الآتى ايرادها

ما معنى المتفق ولمَ سموا كذلك .

لكل اسم من اسماء العرب معنى يرجع الى حكاية او واقعة او بيت شعر اوصناعة او ما ضاهى هذه الابواب وهى كثيرة عندهم . فما

عسى يكون معنى المتنفق ولمَ سموا بهذا الاسم .

قلنا : علينا اولاً ان نعلم ماهو معنى انتفق فى اللغة . فقد جاء فى تاج العروس ماهو معناه انتفق اليربوع : خرج من نافقائه ... وانتفق الحارش اليربوع : استخرجه من نافقائه ... وانتفق الرجل : دخل النفق ... وانتفق : السرب ووكر اليربوع ايضا . اه

فيكون سبب هذه التسمية اما لان الجد الاكبر لبنى المتنفق كان يحرش اليرابيع قبل الاسلام فبقى عليه هذا الاسم وهو غير بعيد لانهم سموا ايضاً حريشاً وحرشاء ومحرشاً فمن سمى بحريش كامير : قبيلة من بنى عامر . وبحرشاء كصفراء : امرأة وبمحرش كمحدث : محرش الكعبى ومحرش بن عبد عمرو الحنفى وغيرهما .

واما لانه كان يقيم فى نفق لشدة الحر . فيكون شبيهاً بسكنة المغاور . وقد وجد فى بلاد العرب أناس « متنفقة » اى سكنة الانفاق او الاسراب والمغاور وقد ذكر ذلك بعض المورخين ومنهم من وجد فى غير بلاد العرب ويسميهم الافرنج تروكلوديت ، كما مر الكلام عنهم فى الجزء الاول .

واول من ذكر هولاء الاقوام كتاب اليونان فقد قالوا عنهم انهم اناس نازلون فى الشمال الشرقى من افريقية ويلوون الى الانفاق والمغاور واكثر مايكونون بين نهر النيل والبحر الاحمر وكان يحتل تلك الجهات ايضاً قوم من العرب يأتون اليها من بلادهم . والى هذا العهد يوجد جم غفير من الافريقيين هم « متنفقون » حقيقة وهم مبثوثون فى اصقاع مختلفة من قارة افريقية .

وفي بلاد العرب قطر كله جبال تحيط به الاودية العظيمة العديدة وفيها من الكهوف والاغاق شيء كثير تاوي اليها قبائل من الاعراب الاوابد والشرادم الشوارد . ولا يبعد ان يكون هؤلاء من اولئك او ان متنفقة بلاد العرب من متنفقة بلاد الحبشة ونواحيها والله اعلم .

اما رأينا الخاص فهو ان بني المتنفق لم يسموا بهذا الاسم لكون جدهم كان من متنفقة البرابيع اي بحرشتها ولا من المتنفقة بمعنى سكنة الكهوف . انما سموا كذلك لكونهم اتفقوا على التناصر والتكاتف اشتقاقاً من الاتفاق لامن الانتفاق . ويؤيد قولنا هذا ان بني المتنفق هم عبارة عن ثلاث قبائل كبار قد اجتمعت متحدة بينها كل الاتحاد وهي :قبيلة بني مالك وبني سعيد والاجود(الاجود كافضل لاالاجواد بالف بين الواو والدال)وكثيراً ما كان يفعل العرب والاعراب على التعاقد والتعاهد والتناصر ليكونوا اشد صولة على اقرانهم.وقد كان ذلك قبل الاسلام وبعده ومن هذا القبيل الاحلاف والاحابيش وقريش وخثعمة والرباب ولعقة الدم والقارة وجمرات العرب ورضفات العرب وجمهرة العرب وتنوخ والضفير (هذه الكلمة تكتب بالضاد لابالظاء المنقوطة المشالة) والمطيبون وغيرهم

ولعلك تقول : اذا كان المتنفق من الاتفاق فكان يجب عليك ان تقول : « المتفق او بنو المتفق » فمن اين هذه النون في المتنفق اذا كان من الاتفاق ؟

قلنا ان العرب كثيراً ما تفك الحرفين المدغمين وتبدل الاول منهما نوناً وتبقى الثاني على حاله . وهذا الامر معروف عندهم وان لم يصرحوا

بهذه القاعدة فى كتبهم . فقد قالوا : الاجار بتشديد الجيم والانجار . والاجاص والانجاص . والرز والرز . والاجانة والانجانة . والقبرة والقنبرة . والخروب والخرنوب . وربما ابدلوا نوناً من الحرف الثانى لا من الحرف الاول . كقولهم الخربانان وهما الخرابتان . وهناك غير هذه الامثال مما يطول سرده .

ومما يؤيد هذا الاشتقاق ان « المنتفق وردت بدلاً من المنتفق فى نسخ ياقوت القديمة وقد صرح بذلك الفاضل وستفيد فى طبعه لمعجم البلدان . وهكذا وردت فى نسخ الاغانى القديمة .

وقد يتفق أمران والجوهر واحد كما يجتمع زندان فى وعاء . فقد يمكن ان يكون المنتفق رجلاً سمى لبعض الاوجه اللغوية التى ذكرناها فكان راس قبيلة . ثم ضعف فى مابعد امر عشيرته حتى اضطرت الى ان تنضم الى احياء اواقوام أخرى فكان منها هذه العشيرة اوهذه العشائر المشهورة باسم المنتفق .

نسب المنتفق

قال فى تاج العروس : المنتفق ابو قبيلة وهو المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وقال السيد ابراهيم فصيح الحيدرى فى كتابه عنوان المجد فى بيان احوال بغداد والبصرة ونجد : وجميع قبائل المنتفق بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية وهم بنو المنتفق بن عامر بن ربيعة بن كعب بن عامر بن صعصعة ويقال للمنتفق متفق . اه . وبنو صعصعة : بطن من هوازن

من العدنانيه . وهم بنو صعصعة بن معاويه بن بكر بن هوازن كان له من الولد : عامر وعمرة ومازن وغامر ووائل . وامهم عمرة بنت عامر بن الظرب . وغالب وامه غامرة بها يعرفون . وقيس وعوف ومساور ويسار ومنجور وامهم عدية بها يعرفون . وكبيرة وزبينه وامهم وائله بها يعرفون . وربيعه وامه غويصرة بها يعرفون . وعامر اكثرهم بطوناً . (عن انساب العرب للقلقشندى) .

وذكر صاحب لسان العرب المنتفق ولم ينسبه ولم يذكر قبيلته .

ومن العجب العجاب ان القلقشندى كتب سفراً مطولاً عن قبائل العرب ولم يذكر المنتفق ابداً . مع انها قبيلة ضخمة بل عميرة جليلة .

ومن ذكر نسب بنى المنتفق ابن خلدون المغربى فى تاريخه فى المجلد ٢ : ٣١٢ قال : ومن بنى كعب بن ربيعه ... بنو عقيل (بن كعب وهم بطون كثيرة . منهم : بنو المنتفق بن عامر بن عقيل) ومن اعقاب بنى المنتفق هؤلاء الاعراب المعروفون فى الغرب (بالخلط) . قال على بن عبد العزيز الجرجانى : (الخلط) : بنو عوف وبنو معاوية ابنا المنتفق بن عامر بن عقيل . » انتهى .... قلت : والخلط لهذا العهد فى اعداد جشم بالمغرب .

ومن بنى عقيل بن كعب : بنو عبادة بن عقيل : منهم الاخيل واسمه : كعب بن الرحال بن معاوية بن عبادة . ومن عقبه : ليلى الاخيليه بنت حذيفه بن سداد بن الاخيل .

وذكر ابن قتيبة : ان قيس بن الملوح المجنون منهم . وبنو عبادة لهذا العهد فيما قال ابن سعيد بالجزيرة الفراتية فيما يلي العراق . ولهم عدد وذكر وغلب منهم على الموصل وحلب في اواسط المائة الخامسة قريش بن بدران بن مقلد فملكها هو وابنه مسلم بن قريش من بعده . ويسمى شرف الدولة . وتوالى الملك في عقب مسلم بن قريش منهم الى ان انقرضوا . قال ابن سعيد : ومنهم لهذا العهد بقية بين الحازر والزاب (١) يقال لهم : عرب شرف الدولة . ولهم احسان من صاحب الموصل . وهم في تجمل وعز . الا ان عددهم قليل نحو مائة فارس .

وذكر المنتفق صاحب الاغاني في كلامه عن يزيد بن الطثرية قال : ان طثراً من عبد بن وائل اخوة بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار . وكان ابو جراد احد بني المنتفق بن عامر بن عقيل اسر طثراً فمكث عنده زماناً ثم خلاه واخذ عليه اصراً ليمتن اليه بفدائه اوياتيه بنفسه واهله فلم يجد فداء فاحتمل باهله حتى دخل على ابي جراد فوسمه بسمة ابله . فهم حلفاء لبني المنتفق الى

---

[١] كذا في الاصل المطبوع . ونظن ان في اللفظ تصحيفاً . ولعل صحيح الرواية : « بين الجار (بجيم لابحاء) والزاب . والجار . جبل من اعمال شرق الموصل . واما الحازر فلم نرها فيما وقع لدينا من الكتب ونحن لا نعجب من وقوع التصحيف في طبع كتاب تاريخ ابن خلدون فقد وجدنا فيه من اغلاط الطبع ما يضعف الاعتماد عليه والثقة وعسى يقوم احد العلماء وينشر نسخة صحيحة الطبع يقابلها على عدة نسخ خطية مع فهارس تاريخية وغيرها .

اليوم نحو من خمسمائة رجل متفرقين في بني عقيل يولون الى بني المنتفق وهم يميزون بذلك الوسم . وقال بعض من يهجوهم :

عليه الوسم وسم ابي جراد » اه

وذكرهم في موطن آخر فقال : زعم علماؤنا انه لما انهزم الناس خرجت بنو عامر وحلفاؤهم في آثارهم (في آثار بني تميم) يقتلون ويأسرون ويسلبون فلحق قيس بن المنتفق بن عامر بن عقيل عمرو بن عمرو فأسره (اه المراد من ذكره للتنويه بنسب المنتفق)

وممن ذكر نسب المنتفق الطبري قال : وبارز زياد بن النضر اخاً له لامه يقال له : عمرو بن معاوية بن المنتفق بن عامر بن عقيل . وكانت امهما امراة من بني يزيد . فلما التقيا تعارفا فتواقفا . ثم انصرف كل واحد منهما عن صاحبه وتراجع الناس . اه .

وقد ذكر بني المنتفق غير هؤلاء الكتاب فاجتزأنا بالقليل السلسبيل الراوي للغليل عن الكثير الاجاج المهيج لعلة العليل .

ديارهم القديمة

قد جاء في كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر لابن خلدون المغربي في الجزء ٢ : ٣٠٢ ما هذا نصه : « واما بنو عجل بن لجيم بن صعب وهم الذين هزموا الفرس بمؤتة يوم ذي قار فنازلهم من اليمامة الى البصرة . وقد درّوا وخلفهم اليوم في تلك البلاد بنو عامر المنتفق بن عقيل بن عامر : » فهذا كلام نفيس يدلك على قدم احتلال بني المنتفق لهذه البلاد .

وقال ابن خلدون في موطن آخر من كتابه في المجلد ٢ : ٣١٢ نقلاً عن ابن سعيد : « ومنازل المنتفق الاجام التي بين البصرة والكوفة ... ومن بني عامر بن عقيل : بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف وهم اخوة بني المنتفق وهم ساكنون بجهات البصرة وقد ملكوا البحرين بعد بني ابي الحسن ملكوها من تغلب . قال ابن سعيد : وملكوا ارض اليمامة من بني كلاب وكان ملكهم لعهد الخمسين من المائة السابعة عصفور وبنوه . » اه

ومما يدلنا على الربوع التي احتلوها في سابق العهد المياه التي كانت لهم فانها تطلعنا احسن الاطلاع على منازلهم وديارهم القديمة . فمن مياه بني المنتفق :

(الميثب) كمبرد قال ياقوت : الميثب ماء بنجد لعقيل ثم للمنتفق واسمه معاوية بن عقيل . وقال الاصمعي: الميثب ماء لعبادة بالحجاز وقال غيره : ميثب وادٍ من اودية الاعراض التي تسيل من الحجاز في نجد اختلط فيه عقيل بن كعب وزبيد من اليمن . » اه .

ومن مياههم (البيضاء) قال ياقوت : البيضاء ماء لبني عقيل ثم لبني معاوية بن عقيل وهو المنتفق . ومعهم فيها عامر بن عقيل . قال حاجب بن ذبيان المازني يرثي اخاه معاوية بالبيضاء فقال .

تطاول بالبيضاء ليلي فلم انم . وقد نام قساها وصاح دجاجها
معاوي كم من حاجة قد تركتها . سلوباً وقد كانت قريباً نتاجها

السلوب في النوق . التي القت ولدها لغير تمام . » اه .

ومن ربوعهم (العقيق) . قال الهمداني في جزيرة العرب : العقيق عقيقان : العقيق الاعلى للمنتفق ومعه معدن معساد على يوم اويومين وهو اغزر معدن في جزيرة العرب . وهو الذي ذكره النبي عليه السلام في قوله : مطرت ارض عقيل ذهباً . والاسفل هو في طيئ . ه اه .

ويقال لهذا العقيق الاعلى : (عقيق بني عقيل) . قال ياقوت : (ومن الاعقة) العقيق الذي في بلاد بني عقيل . قال ابو زياد الكلابي عقيق بني عقيل فيه مئة من مناير اليمامة . ذكره القحيف بن حبير العقيلي حيث قال .

ألم ابن ادريس الم يأتك الذي ... صبحنا ابن ادريس به فتقطرا
فليتك تحت الخافقين ترسه ... وقد جعلت درعاً عليها ومغفرا
يريد العقيق ابن المهير ورهطه ... ودون العقيق الموت ورداً واجزرا
وكيف تريدون العقيق ودونه ... بنو الحصنات اللابسات السنورا

انتهى النقل عن ياقوت.

ومن هنا ترى ان المنتفق كانوا منتشرين بين العراق وجزيرة العرب ويترددون بين بلاد وبلاد للانتجاع اوللغزو اولغاية اخرى على ما هو معهود في حياة اهل البادية .

ربوعهم الحالية

تمتد من الناصرية الى الحي وبينهما شطرة المنتفق والحمار وسوق الشيوخ والبطحاء والبدعة وبني اسد وبني سيد والمشارفة وقلعة سكر

الى غيرها من الاقضية والنواحي . وقصبة اللواء : الناصرية . وبكلمة واحدة هي البلاد التي احتلوها من سابق العهد .

ومن ديارهم المشهورة في الازمنة الخالية والحالية (الغراف) وهو نهر كبير تحت واسط بينها وبين البصرة وعلى هذا النهر كان في سابق العهد كورة عظيمة فيها قرى كثيرة واما اليوم فلم يبق منها شيء يذكر. وكذلك القول عن البطائح التي كانت في جواره . فانها كانت متسعة الاطراف مترامية الضفاف واما في هذا العهد فقد نضبت مياهها وضاق عقيقها

وسمى الافرنج نهر الغراف باسم « شط الحي » نقلاً عن العوام والحي قرية ضخمة راكبة الغراف ساباً . واسم الغراف في العهد الماضي « المسرهد » على وزن مدحرج بفتح ماقبل الاخر وقريته الحي. تبعد عن هذا النهر نحواً من نصف ساعة لتحول مجراه مع الزمان . ونهر الغراف اوالمسرهد اوسط الحي ينقسم هناك الى شعبتين فالشعبة التي عن يمينك تسمى « ابو حجيرات » مجموع حجيرة مصغرة حجرة . والشعبة التي عن يسارك يقال لها « شط العمى » لانه لايدفع مياهه الى نهر آخر ولان الرمال تدفن عقيقه رويداً رويداً . ولايوجد الماء في هذه الشعبة الاربعة اشهر في السنة هي اشهر الشتاء.

ومن غريب تاويل بعض كتاب الافرنج ان هذا الشط يسمى «شط الحية» لاشط الحي . وسمي بذلك لانه يتمعج في جريانه تمعج الحية قلنا . وليس الامر كذلك لانه لايوجد نهر الا ويكون متعرجاً في سيره تبعاً لحركة

الماء . ثم لو كان منعرجه شديداً يفوق منعطفات سائر الاودية والانهر لصح التاويل . الا ان الامر ليس كما توهموه . وقد رأيت سبب تسمية العامة له بنهر الحي وسمى الحي حياً لحيوية ارضه وقوة انباتها وخصب طينته بما لا يشبهه نظير قط في القرى المجاورة او المندرسة .

الكلدانيون

واصل اسمهم ومعناه واختلاف الروايات فيه

كان الكلدانيون في سابق العهد امة عظيمة بلغت من شاو الحضارة مبلغاً بعيداً ، وكانت تسكن العراق من شماله الى جنوبيه ، وكان لهم شهرة طبقت الخافقين .

وقد ورد ذكرهم في كتب الاقدمين على اختلاف اجيالهم ولغاتهم ، وقد جاء بنوع اخص في اسفار الكتبة المحدثين ، لكثرة تنبههم للحقائق ، وتطلل اعناقهم الى تواريخ الامم الخالية ، واممانهم فيها بنوع لا يجاريهم مجار بل ولا يشق لهم غبار

ولما كان شغفهم بالروايات الصادقة لا يضاهيه شغفهم بغيرها نقبوا عن مصادرها كل التنقيب حتى ظفروا بضالتهم . اعني بذلك : الآثار والعاديات التي اكتشفوها في بلادنا بينما نحن في غفلة عنها وعن المنقبين وكل ما عثروا عليه منقوش على الحجارة او الصخر او الآجر او الفخار او ما ضاهى هذه المواد من مشوية في النار او غير مشوية او مقطوعة من مقالعها ومدافنها او غير ذلك .

واليوم يعرف الافرنج تواريخ بلادنا وامها واجيالها ومواقع مدنها

وانهارها وسابق مجدها مالانعرف منه بعناوين ابحاثهم فيها اوعناوين المضامين التي بحثوا عنها . هذا فضلاً عن اننا لانجد في المصنفات العربية من حديثة وقديمة مايتصدى لهذه المواضيع الجليلة الاالنزر التافه الذي لايجزأ به اليوم ، لتقدم هذا الفرع من العلوم الضرورية للعمران والتبسط في الحضارة والمدنية .

ولهذا رأينا من الواجب علينا ان نتعرض لهذا البحث الغزير الفائدة ليقف عليه اهل الوطن ، ويعرف ما كان عليه اصحاب هذه الديار في سابق الاعصار من الهمة والنشاط والتيقظ فيعظم في قلبهم حبها ويغارون عليها ،ويسعون كل السعي الى الاحتفاظ بها ، وترقيتها الى اوج الفلاح ، كما فعل من سبقنا على هذه الارض وعلى الله الاتكال .

واول شيء نستهل به بحثنا هذا هو كلمة الكلدانيين واصلها ومعناها مع ايراد جميع اقوال العلماء المختلفة فيها من قديمة وحديثة ،فنقول:..

جاءت هذه الكلمة بصورتين وكل يعتقد انها اللغة الفصحى واللفظة الحقيقية القديمة التابعة لاصل الوضع ، وان ماسواها من اللفظ المرغوب عنه .بيدانك اذا سألت : من المحق في كلامه ؟ اجابك كل منهم من فوره: انا المحق . فتعال يا ايها الاديب ننظر في الامر لننشد ضالتنا .

ان لفظة الكلدانيين وردت في التوراة العبرية منذ العصر الذي طوى فيه الكلدانيون ايامهم اي منذ القرن العشرين قبل المسيح .وقد جاءت بصورتين متقاربتين وهما : كسديم وكشديم اي بالسين وبالشين وكذ

ايضاً وردت في بعض الرقم (١) البابلية اللغة اوالاصل اوالنقل اوالرواية وقدذهب العلماء مذاهب في معناها . فمنهم من قال انها تعني الفاتحين . وفريق اولها ببلاد الكس (بفتح الكاف) لان «كس» . اسم الجبل نفسه ؛ و «ده» البلد وصرح آخرون ان الرواية الفصحى هي كشيديم بالشين المثلثة (لاكسيديم)بالسين المهملة وكذا وردت في النسخ القديمة من نسخ التوراة ومعناها عندهم . «الفاتكون» . لانهم كانوا في اول امرهم اهل غزو وغارات وفتك . فتكون الكلمة من اصل شائع في العربية والبابلية واللغات السامية معاً . فقد جاء في كتب اللغة عن معنى كشد : قطع باسنانه كقطع الجزر ؛ وكشد الناقة حلبها بثلاث اصابع ، وهذا يدل على انهم كانوا اصحاب ابل وانعام . وكشد فلان :اخلص الزبدة ، وهو يدل على انهم كانوا في سابق عهدهم اهل بادية يمخضون الالبان ويخلصون الزبدة .

ومن اللغويين من اثبت انها مشتقة من الكشد (بضمتين)والياء والميم من علامات الجمع عند العربين) ومعناها : الكثيروا الكسب والكادون على عيالهم ، الواصلون ارحامهم ، والواحد : كاشد وكشود وكشد (وهذه الاخيرة مفتوحة الاول والثاني) والكلدانيون كانوا مشهورين بكثرة كسبهم وحبهم لعيالهم .

---

[١] الرقم بضمتين جمع رقيم . والرقيم صخرة اوحجر اولوح مهما كانت مادته يكتب فيه بعض الاخبار لحفظها ويقابلها بالفرنسوية inscription ومنه «ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً»

وذهبت جماعة من الباحثين الى ان اصل (كسديم او كدديم : حسديم اوحسديم) اى بالحاء فى الاول بدلاً من الكاف ومعناها فى العبرية : المحبون عيالهم الواصلون ارحامهم . وكان الكلدانيون معروفين بوصل الارحام. والاخبار التى تنقل عنهم فى هذا الباب كثيرة مستفاضة فى اسفار تاريخ هذا الجيل .

وقال بعض المحققين بان الاصل هو « كردیم » لا كسديم او كشديم ومعناها الاكراد . لان الكلدانيين لما اخذوا بالانقراض لجأوا الى جبال او بلاد كردستان فبقى اسمهم القديم عليهم واما الاسم المصحف فبقى فى بطون المهارق والاوراق .

وقد وردت الكلمة فى بعض نسخ التوراة العربية بصورة « خلدانيين وسبب ذلك هو ان للخاء والكاف صورة واحدة فى اللغة الارمية فالذين قرأوها خاء كتبوها خاء فى العربية والذين جروا على رسم اللغة الارمية اثبتوها كافاً عند نقلهم اياها الى لغتنا . على ان المشهور المستفاض هو كلدانيون بالكاف بعدها لام.

واما العرب فقد تلاعبوا باللفظة كل التلاعب . وهم يفعلون ذلك فى جميع الكلم الدخيلة فى لسانهم ولا عجب فى ذلك فان الاعاجم يتصرفون ايضاً كل التصرف بالالفاظ العربية ويسومونها الذل والخسف والتصحيف والتشويه فلا يحق لهم ان يعيروا العرب بما يركبون منه . وقد اشار بن هريشاه الى تصرف العرب هذا بقوله: ان كرة الالفاظ الاعجمية اذا تداولها صولجان اللغة العربية ، خرطها فى الدوران على بناء اوزانه

ودحرجها كيف شاء في ميدان لسانها ، .. اه .

وعليه فقد ذكر كتاب العرب الكلدانيين بصور مختلفة وهانحن نورد بعض ماجاء من هذا القبيل . قال في تاج العروس في مستدرك مادة ك ل د: الكلدانيون بالضم طائفة من عبدة الكواكب اه . وقال ايضاً في مادة (ك ش د) الكشدانيون بالضم : طائفة من عبدة الكواكب . اه وقد وردت في كتاب الفهرست لابن النديم بصور مختلفة كردانى وكزدانى وكسدانى (ص ١٩٤ و ١٩٥ من التذييل الذي ذيله فلوغل) وكلها بضم الكاف وهو غريب لان الاصل هو بفتح الكاف الا ان العرب لم تجار الاجانب في نقلهم هذا.

وجاء في مروج الذهب طبعة باريس ٢: ١١٢ و ٤: ٦٨١ ان الصابئين كانوا يعرفون ايضاً باسم كاريون وهو لفظ غريب ايضاً فقيل الاصح كتباريون وقيل كسكريون وفي مروج الذهب المطبوع على حاشية نفح الطيب (١ : ٢٧٩) الكيباريين وفي (٢ : ١٥٢) الكنباريون وهذه التصحيفات ايضاً تختلف باختلاف طبعات مروج الذهب الكثيرة وفي كل طبعة رواية جديدة غريبة وعندي ثلاث طبعات منه وفي كل طبعة ما يؤيد قولي هذا . ولو سردت الكل لطال المقال على غير جدوى .

وقد ذكرهم ابن خلدون باسم قطاريه قال . والقنطاريه اصحاب قنطارين ارفكشاد . وقد جاءت مصحفة على اوجه شتى منها كنتاريون وكتباريون وقطباريون والاصح في ذلك كشدانيون فصحفت كشرانيون وكنترانيون وقترانيون . ولعل كل هذه التصحيفات والتحريفات

والتشويهات الكتابة غير المقوطة .

واما الرواية الصحيحة فهي الكلدانيون نسبة الى كلدة بفتح الكاف فسكون اللام اوكلدة بفتحتين وهو اسم شيخ اوامير من شيوخ العرب غزا ديار العراق في بطائح الفرات فسمت البلاد باسمه ومن صلبه ولد الملك مرودخ بلدان ملك بابل وكان الشيخ كلدة في عهد ابراهيم الخليل وحارب الاشوريين ومنهم من التسلط على العراق .

واسم كلدة كان في صدر الاسلام معروفاً عند العرب ومنه اسم الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي طبيب العرب المشهور والكلدة بكسر الكاف وسكون اللام نبت مشهور بالعراق يسميه اهل البادية بهذا الاسم كما يسميه اهل بلاد العرب ايضا وهو يشبه بعض الشبه الحلفاء اوغيرها من الانبتة وهو اذا تأصل في الارض فشا فيه فشواً مريعاً ولا يقلع اويزال الا بجهد جهيد ولعل البلاد سميت بهذا الاسم من باب التشبيه لان العرب الكلديين او الكلدانيين لما نزلوا هذه الديار لم يستأصلوا منها الا بشق النفس .

ومن غريب الامر ان في العراق فخذاً من الاعراب يرجعون الى العبيد اسمهم الكلادنة اوالكلدانية وصيحتهم فالحرب (اى استنفارهم) هي واحدة مع اعراب الفوالية والكبيشات وقد رأيت هؤلاء البدو في ١٤ آذار سنة ١٩٠٤ سألتهم عن سبب تسميتهم بهذا الاسم فلم يستطيعوا ان يفيدوني فائدة تذكر . فلعلهم سموا بهذا الاسم لانهم احتلوا اراضي بابل فعرفوا باسم الارض التي نزلوها لاول مرة وهي الارض المعروفة باسم كلدية في هذه الايام عند بعض سكان البادية . والله اعلم

هذا جملة ما يقال في اصل هذا الاسم وتشويهه المختلف ومعناه المشتبه والخلاصة هي : ان الكلدانيين قوم من العرب فتحوا العراق وبقوافيه وتغلبوا على من عاداهم فنشأت منهم هذه الدولة الضخمة المشهورة . ومن غريب الامر ان العرب لم يعرفوا ان هؤلاء كانوا منهم في سابق الزمن بل كلما اتفق لهم الكلام عنهم ذكروهم باسم نبط العراق او انباط العراق ونسوا اسم الكلديين او الكلدانيين بتاتاً. قال المسعودي في كتابه مروج الذهب في الباب العشرين : « ذكر ملوك بابل وهم النبط وغيرهم المعروفين بالكلدانيين» : ذهب جماعة من اهل التقير والبحث والعناية باخبار ملوك العالم : ان اول ملوك بابل هم اول ملوك العالم الذين مهدوا الارض بالعمارة . وان الفرس الاولى انما اخذت الملك عن هؤلاء كما اخذ الروم المملكة من اليونانيين فكان اولهم نمرود الجبار .... الى آخر البحث .

ولم يذكر اسم الكلدانيين الا شيئاً نزراً . على ان الذي اثبته العلماء اليوم ان الكلدانيين غير الانباط . ولا يجوز خلط اسم قوم باسم قوم آخر وقد جرى سائر مورخي العرب على هذه التسمية المغلوطة ان كانوا ممن تقدم المسعودي او ممن جاء بعده .

هذا فضلاً عن ان لفظة النبط او الانباط جاءت عند كتاب العرب بمعانٍ عديدة . منها : بمعنى الانباط الحقيقيين . ومنها بمعنى الآراميين ومنها بمعنى السريانيين . ومنها بمعنى الكلدانيين . واغلب هذا الوهم ناشئ من اللغة الشائعة بين هؤلاء الاقوام فانها كانت الارمية . ولهذا

وقع الكتاب فى مهواة هذه المغواة . واقه الهادي الى سبيل الهداية والسداد .

﴿ كتاب الفرق بين الصالح وغير الصالح ﴾

تأليف ابى حامد محمد بن محمد بن محمدبن احمد الغزالى .

تاريخ كتابته ٦٤٨ هـ (ـ ١٢٥٠ ـ ١٢٥١ م) بيد ناسخه على ابن ابى العشائر بن الغزالى . طوله ٢٣ سنتيمتراً فى ١٦ سنتيمتراً عرضاً .

عدد اوراقه ٧١ وفى كل صفحة ١٥ سطراً بخطٍ نسخى حسن

هذا الكتاب من كتب اسكندر افندى داود مسيح فى بغداد . تنقصه ورقة واحدة من الراس والظهر مصحف بالمقوى بكعب سختيان اخضر فاتح اللون . وخطه وان كان حسناً الا انه لكونه غير منقوطٍ فى بعض الالفاظ تصعب قراءته لقدم النسخة . وفى بعض الاوجه بقع تدل على انه قد بل بالماء فى بعض المواطن .

وكثيراً مايحيل الغزالى فى كتابه « نصيحة الملوك » وربما قيل « التبر المسبوك . فى نصائح الملوك » على هذا الكتاب . وكتابه « نصيحة الملوك » فارسى وهذا الكتاب قداقامه على سبعة ابواب وهى:

الباب الاول : فى سياسة السلطنة وسيرة السلطان .

الباب الثانى : فى سياسة الوزارة وسيرة الوزراء .

الباب الثالث : فى ذكر الكتاب وآدابهم وسيرة الوزراء .

الباب الرابع : فى سموهم الملوك .

الباب الخامس : فى ذكر حكمة الحكماء وهو باب جليل .

الباب السادس : فى شرف العقل .

الباب السابع : فى نعت النساء وذكر مافيهن من خير وشر .

وليس فى ديار الشرق نسخة ثانية لهذا السفر الفذ وقد تصفحت ماوصلت اليه يدى من فهارس كتب خزائن الشرق والغرب فلم اظفر بضالتى وهو غير مذكور بين مصنفات الامام والذين ذكروه نفر قليل . قال السيد محمد بن محمد الحسينى الزبيدى الشهير بمرتضى فى مقدمة شرح احياء العلوم فى الفصل التاسع عشر فى ذكر مصنفات ابى حامد الغزالى (ورتب ذكرها على حروف المعجم) . قال فى حرف الفاء : والفرق بين الصالح وغير الصالح ذكره فى كتابه نصيحة الملوك . اه .

فيعلم من هذه العبارة ان السيد محمد مرتضى لم يعثر على نسخة كتاب الفرق هذا . وانما تعرض لذكره وعلم به من استقراء كلام الغزالى نفسه فى كتابه نصيحة الملوك .

واما الحاج خليفة فلم يذكر الا اسمه ولم يصفه لانه لم يقف عليه فى عهده . وقد بذلت جهدى فى الفحص عنه فى خزائن الكتب الشرقية حتى استكتب الورق المتخرم من اول هذه النسخة فلم افز بطائل .

ثم اعلم انه يظهر من مطاوى كلام له فى الباب الثانى فى الوزارة ان ايام تصنيفه كانت فى عهد السلجوقية . واما ناسخ هذه النسخة فهو على ابن ابى المشائر بن الغزالى . واظنه على بن احمد الغزالى الذى

ذكره السيد محمد مرتضى فى شرحه على الاحياء . قال : العلامة على بن احمد الغزالى مؤلف كتاب ميزان الاستقامة لاهل القرب والكرامة : توفى سنة ٧٣١ هـ (ـ ١٣٣٠ م) وقال الملا كاتب جلبى فى كشف الظنون : « ميزان الاستقامة لاهل القرب والكرامة لعلى بن محمد الغزالى المتوفى سنه ٧٣١ وهو غير الغزالى المشهور اه .

وفى هذا السفر الجليل شئ كثير من الامور التاريخية غير معروفة وغير مذكورة فى الكتب كبعض امور رواها عن البرامكة ونحوهم ممن كان فى عهد المؤلف او قبله بقليل وفيه ايضا اخبار تدل على حكمة واصالة رأى تفيد القارئ وسوف نأتى على نتف منها ان سنحت الفرصة ونحن نروى هنا حكاية تتعلق بانوشروان لتكون انموذجا مما يحوى الكتاب .

﴿ حكاية انوشروان والصبية الحكيمة ﴾

يقال : ان انو شروان الملك العادل مضى يوما الى الصيد ، فرأى ضيعة فى القرب منه ، وكان قد عطش . فقصد الضيعة واتى باب دار قوم ، وطلب ماء ليشرب ، فخرجت صبية فاعصرته . ثم عادت الى البيت . فدقت قصبة واحدة من قصب السكر ، ومزجت ماعصرته بشئ من الماء ، ووضعته بالقدح وسلمته الى انوشروان . فنظر فى القدح فرأى فيه تراباً وقذى . فشرب منه قليلاً قليلاً حتى انتهى الى اخره . وقال للصبية :

نعم الماء لولا قذى كدره .

فقالت : انا عمداً القيت به القذى .

فقال : ولم فعلت ذلك ؟

قالت : رأيتك شديد العطش . فلو لم يكن فى الماء قذى كنت شربته عجلاً فى نوبة واحدة ، وكان يضرك شربه .

فعجب انوشروان من كلامها . وعلم انها قالته عن ذكاء وفطنة . ثم قال لها :

من كم قصبة دققت ذلك الماء ؟

فقالت : من قصبة واحدة .

فتعجب انوشروان واضمر فى نفسه انه اذا عاد أمر بزاد عليهم فى الخراج . ثم عاد الى تلك الناحية بعد وقت ، واجتاز على ذلك الباب منفرداً ، وطلب ماء . فخرجت تلك الصبية بعينها فرأته ، فعرفته ، ثم عادت لتخرج الماء ، فابطأت عليه . فاستعجلها انوشروان . وقال :

لاى سبب ابطأت ؟

قالت : لانه لم يخرج من قصبة واحدة حاجتك ، وقد دققت ثلاث قصبات . ولم يخرج منها بقدر ما كان يخرج من واحدة .

فقال انوشروان : ماسبب هذا العجز ؟

فقالت الصبية : سببه تغير نية السلطان . فقد سمعنا : انه اذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركاتهم . وقلت خيراتهم .

فضحك انوشروان وعجب من قولها وازال من نفسه ما كان قد اضمره لهم . وتزوج الصبية لتعجبه من ذكائها وحسن كلامها .

﴿ الرجل الفاسق والمرأة العفيفة ﴾

يقال : انه كان رجل فاسق يكايد امرأة عفيفة بالحرام . فلم يحصل عندها . قال لها : امضي واغلق جميع ابواب الدار واحكمي اغلاقها .

فمضت المرأة . ثم عادت وقالت : قد اغلقت سائر الابواب التي بيننا وبين الخلق وقد احكمتها . وقد بقي الباب الذي بيننا وبين الخالق تعالى، ما قدرت عليه ولا استطعت ان احكم اغلاقه وهو بحاله مفتوح .

فوقع في نفس الرجل الهيبة . فاخلص في التوبة واقلع عن ذنبه وعاد الى طاعته تعالى . اه

وبهذا القدر كفاية لمن يريد ان يعرف ما في هذا الكتاب من الكنوز الادبية والحكمية وكفى بالكتاب ان يكون منسوباً الى مثل الغزالي لتعريف مكانته من البلاغة والفصاحة وحسن سبك العبارة مع اختيار احسن الحكايات واصح الاخبار

السيد صدر الدين الكاظمية .

ابو محمد الحسن العاملي

—﴿﴾—

اخلاق اهل نجد (تتمة)

« (٥ :) » اخلاقهم هي اخلاق العرب الاقدمين العزيزي النفس المتوقدي الذهن الاذكياء الشهام الاباة اخلاق لم تغيرها الحوادث والازمان فهم اليوم اهل كرم وشجاعة ووفاء وسماحة وحمى ودخالة وسيرتهم توافق قوانينهم وتنطبق عليها اتم الانطباق ولا تحيد عن الكتاب والسنة فهم يجلونهما اعظم الاجلال ولا يعتبرون الا اياهما .

ثم يوجد بين القبائل من يجرى على قوانين وسنن وشرائع راجعة اليهم وخاصة بهم يقومون لها ويقعدون لكن اذا جاؤوا المدن رجعوا الى الشرع الشريف فى امورهم وشؤونهم الاجتماعية . هذا فضلاً عن ان لهذه السنن من المزايا والمحاسن ما تفيد كل الافادة تلك الاقوام فى هاتيك الربوع ولولا ضيق المقام لاتينا على ذكر بعض منها اظهاراً لتنافسها ولما اودعتها من الحكمة البعيدة المرمى والمبنى والمعنى

(٦ تجارتهم) ، التجارة التى يتعاطاها اهل تلك الارجاء هى الخيل والابل وكلاهما من احسن ماوجد من جنسيهما فى الدنيا كلها جمعاء . ولعلنا نعقد يوماً فصلاً نذكر فيه مايجب الوقوف عليه فى هذا البحث والتمر وانواعه كثيرة واسماؤه هى تلك الاسماء القديمة لاتتغير وهذا يفيدنا فى تصحيح بعض الالفاظ الواردة فى هذا المعنى والسمن (واسمه عندهم الدهن كما يسميه العراقيون) . والصوف والوبر . ويذهبون بكل صنف من هذه الاصناف الى حيث يكون رواجه . فيذهب بالخيل مثلاً الى بلاد الهند . واغلب اصائل هذه الانحاء من نجد . وينقلون الابل الى مصر والشام . ويحملون التمر الى الحجاز . ويبيعون الدهن والسمن فى البصرة والكويت والحجاز حسب الوقت الذى يوافق نقله او يصادف تصريفه وانفاقه فى موطن دون الموطن الآخر الذى رخص فيه . وهذا هو سر اسفارهم المتوالية وتغربهم عن اقطارهم العزيزة ولهم فى ذلك من الصبر والجلادة مالا تراه فى اقوام آخرين سواهم . فانك ترى الواحد منهم يقيم نائياً عن مسقط رأسه ثلاثين حولاً مثلاً ولا

يتأنف من حالته البتة وهم اهل سعي وكد وجدولاتعيقهم الاخطار الشديدة ولا الاهوال الهائلة عن الوصول الى مابه منفعتهم . افبعدهذا تتعجب من كون كثيرين منهم وصلوا الى لندن واميركة والديارالنائية فلقد يقضي واحدهم الايام الطوال والاعوام الكثار بدون ان يلتفت الى وطنه » .

(٧ : زراعتهم) « اغلب زراعتهم متوقفة على الحنطة والشعير والذرة (الاذرة او الادرة) والسمسم والدخن ويزرعون كل هذه الحبوب بقدر حاجتهم . واذا حبست السماء ماءها اضطروا الى جلب مايحتاجون اليه من البلاد الاخرى كالكويت والبصرة والساوة وغيره ولقد كانت الزراعة تتقدم عندهم تقدماً عظيما لولا امرين احدهما : جور الحكام . والثاني قلة المياه . ولقد حاولوا مراراً استنباط المياه بالآلات المختلفة او حفر الآبار الارتوازية فلم يتيسر لهم ذلك . لصعوبة الطرق ووعورتها بحيث لاتستطيع العجلات السير فيها . واما اذا قلت : فهناك جمال تضطلع بحملها . قلنا : تضطلع بحمل بعضها لا بكلها لانه يوجد آلات ثقيلة غاية الثقل لايحملها البعير الواحد بل ولا البعيران او الثلاثة . ومن ثم اصبح نقلها من البعيد التحقيق . ولولا ذلك لاصبحوا في غنى عن الديار الاخرى في كل اين وآن . بل لزادت حاصلاتهم على نفقتهم ولربحوا من التجارة بما فضل عندهم اموالاً طائلة تأتيهم من البلاد التي ينفقون اليوم فيها اموالهم للحصول على مايحتاجون اليه »

(٨ً الصناعة عندهم) « ليس لهم من الصنائع الا مالغيرهم من مجاوريهم من اهل الكويت والبصرة كالنجارة والحدادة والسكافة والخياطة وماضاهى هذه المهن . ومهارتهم فى الاسلحة غريبة فانهم وان كانوا اخلاء من جميع الوسائل الميسرة لهذه الغاية فانك تراهم يصلحون مايقع من انواع الخلل بنادق ماوزر ومارتينى . واغرب من هذا انهم يفرغون المدافع افراغاً محكماً ويحسنون التصرف بالمدافع الجديدة الطرز حتى انك تخالهم انهم تلقوا علم المدافع عن اصحابه المهرة واذا وقع فى هذه الآلات خلل اصلحوه على اقوم وجه . ومع كل هذه البراعة والتفنن لاتشاهد فى ايديهم ادوات تامة المدة كما ترى فى البلاد الراقية فى المدنية . وعندى انه لووجد بايديهم آلات تساعدهم على تحقيق امنيتهم لبرزوا فى الصناعيات على من سواهم ولاتوا بكل عجاب . واوقفك الآن على اغرب من هذا كله : انهم يحرون المباحث العلمية الدقيقة ويتبعون الاكتشافات الحديثة كالكهرباء والسلك الجوى وبعض الآلات البرقية وما ضاهى هذه الموضوعات الجديدة . واعهداً واحد فى القصيم يضيء محله بالنور الكهربائى الذى هو من صنع يديه وقد ركب الاجزاء التى يتولد منه باعمال فكرته . واذا كانوا لايحققون دائماً مايعتقدون النية عليه فهو لانهم فى شغل شاغل عنه بما يقومون به من امر المعيشة وتطلبها فى الاقطار النائية . »

(٩ً : ديانتهم) « بقى علينا ايراد امر الديانة والاعتقاد عندهم . فقد اسلفت وقلت . انهم يعتمدون على الكتاب (القرآن) والسنة

(وهي الحديث الصحيح عن رسول الله صلعم) ولدى بحث جليل في هذا الموضوع وهو لايخلو من فائدة لمن يريد تتبع الحقائق على وجهها الصادق الصحيح واستقراء ثوابت الامور . ولعلي اعود الى هذا المجال في فرصة اخرى . »

(١٠ : هواء البلاد) لاتكاد تلفظ كلمة نجد الا وتتصور هذه البلاد تحت عينيك ويهب عليك نسيمها ويتلاعب امامك هواؤه الطيب الجاف . لان معنى « نجد » ماأشرف من الارض وارتفع واستوى وصلب وغلظ ... ولا يكون النجد الا قفاً اوصلابة من الارض من ارتفاع مثل الجبل معترضاً بين يديك يرد طرفك عما وراءه ... » — (عن التاج) — . والهواء في منتهى الحرارة وقد تبلغ في الظل في بعض المواطن ٥٢ درجة بالميزان المئوي . وعند الصباح يهب نسيم طيب لذيذ في الصيف واذا تكبدت الشمس السماء انقطع الهواء في شهر تموز وآب وايلول حتى يكاد الانسان يموت اختناقاً الا انه لجفافه لايؤثر كثيراً على الصحة . ويضطر من يسكن تلك الديار اتخاذ المآكل الخفيفة الهضم والانقطاع عن المسكرات والامتناع عن الاطعمة المطبوخة باللحوم الثقيلة .

(١١ : تأثير الهواء على السكان) اعلم ان اغلب الامراض تتولد هناك من الكبد لشدة الحر . ومن مؤثرات الحر على اهل البلاد ان اغلبهم ضعاف نحاف سمر الالوان طوال القامة الا انهم اقوياء يحتملون الجوع والعطش والحر الى درجة لاتكاد تراها في سواهم . وهم عصبو

البنية ذو عزم شديد ومضاء بعيد اذا قصدوا شيئاً لا يرجعون عنه ولو كلفهم كرب الموت واراقة الدماء وهم من بين جميع العرب سريعو تلقن العلوم والمعارف بل هم يتلقفونها تلقفا لسرعة تناولهم اياها وكذا قل عن الصنائع والفنون على اختلاف انواعها وضروبها .

(١٢) : عدد السكان) ليس في بلد من بلاد العرب من يحصى عدد الانفس . هذا فضلاً عن ان هذا العمل عندهم مشؤوم . الا ان العارفين يقدرون اهل نجد بما ينيف على مليون نسمة .

(١٣) : نظرة وداع لبلاد نجد) يتضح لك مما اسلفنا ذكره ان بلاد نجد من احسن بلاد جزيرة العرب تراباً وهواءً . ولهذا قال ياقوت في معجمه : « لم يذكر الشعراء موضعاً اكثر مما ذكروا نجداً وتشوقوا اليها من الاعراب المتحضرة » من ذلك قول اعرابي :

حنينا الى ارض كأن ترابها ... اذا امطرت عود ومسك وعنبر
بلاد كأن الاقحوان بروضه ... ونور الاقاحي وشي برد محبر
احن الى ارض الحجاز وحاجتي ... خيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظري من نحو نجد بنافع ... اجل لا ولكني الى ذاك انظر
أفي كل يوم نظرة ثم عبرة ... لعينيك مجرى ماؤها يتحدر
متى يستريح القلب اما مجاوز ... بحرب واما نازح يتذكر

وقال اعرابي آخر :

فياحبذا نجد وطيب ترابه ... اذا هضبته بالعشي هواضبه
وريح صبا نجد اذا ماتنسمت ... ضحيً أوسرت جنح الظلام جنائبه

باجرع عمراع كأن رياحه سحاب من الكافور والمسك شائبه
واشهد لا انساه ماعشت ساعة وما انجاب ليل عن نهار يعاقبه
ولازال هذا القلب مسكن لوعة بذكراه حتى يترك الماء شاربه
بغداد

سليمان الدخيل
صاحب جريدة الرياض ومنشئها

(نظرة عامة في لغة بغداد العامية)

على من ليس من الزوراء ان يعلم : ان اهل دار السلام ينقسمون الى ثلاثة اقسام كبيرة تابعة لاديانهم وهي : المسلمون واليهود والنصارى ولكل منهم لغة اولهجة خاصة بهم دون غيرهم . حتى انك اذا سمعت كلام واحد منهم حكمت للحال على الدين الذي ينتحله المتكلم او ينتسب اليه . وذلك لان لهجة المسلم غير لهجة النصراني ، وكلام هذا يمتاز عن نطق اليهودي كل الامتياز ، وعربية اليهودي لاتشبه لسان المسلم والنصراني بشيء ابداً من جهة النبرة والنغمة : وهذا الامر لاتشاهده على مثل هذه الصورة العجيبة الا في بغداد وبعض مدن العراق .

نعم كان يمكنك قبل عشرين سنة ان تميز المسلم من النصراني من اليهودي بمجرد النظر الى ثيابه وزيه . واما اليوم فقد اختلط عليك الحابل بالنابل ، اذ ان اغلب شبان بغداد يلبسون زياً واحداً لايكاد يميز صاحبه عن وطنيه المنتسب الى الدين الآخر الا بامر واحد وهو امر اللغة التي يتكلم بها .

اما احسن اللهجات البغدادية فهي لهجة المسلم لانها فصيحة الكلمات مربوطة المعاني محكمة لفظ الاحرف كل الاحكام . ودونها لغة النصراني ومن بعدها لغة اليهودي . والمسلم لا يتنازل ابداً الى ان يتشبه بالنصراني او اليهودي من قبيل اللفظ الا ليهزأ منهما . واذا حاول التشبه بهما لغير السخرية خانه لسانه وظهر خداعه بعد الفاظ قلائل . وقد يقلد النصراني المسلم بسهولة عظيمة غير انه يصعب عليه كل الصعوبة مجاراة اليهودي في نطقه لما في لهجته من النبرة اليهودية التي يرتضخها (١) والتي لا يستطيع ان يأتيها الا من ولد بين اليهود او نشأ فيهم منذ نعومة اظفاره . واما اليهودي فيصعب عليه كل الصعوبة محاكاة المسلم او النصراني من جهة التلفظ .

هذا وانت تعلم ان اصحاب الاديان الثلاثة كانوا في بغداد قبل زهاء عشر سنوات في محلات خاصة بهم لا يخرجون عنها . بل وكان اليهود في عزلة تامة عن غيرهم لا تعلق لهم بمن ليس منهم . اللهم الا في الاسواق ومعاطاة الامور التجارية . وما عدا ذلك فكانوا ملازمين بيوتهم لا يترددون الى دور غيرهم بل ولا يطأون عتباتها لاي غاية كانت . اما اليوم فان اختلاط قوم بقوم اصبح من الامور التي لا غنى عنها مراعاة لمقتضيات الاحوال وتغير المنشأ او قل : لتغير الاديم الادبي والاجتماعي .

---

[١] يقال : هو يرتضخ لكنة عجمية : اذا نشأ مع العجم ثم صار الى العرب فهو ينزع الى العجم في الفاظ ولو اجتهد .

فاذا علمت ذلك زد على ماتقدم : ان لاصحاب كل دين مخالطة لاتجدها او لاتكاد تجدها الا قليلاً في اصحاب الدين الآخر . فان المسلم يعاشر مثلاً : التركي والكردي والهندي والفارسي اكثر من معاشرة النصراني واليهودي لهم . والنصراني يؤالف الافرنجي والارامي الاصل اكثر من سواه لهما . واليهودي يمازج اهل المال مهما كان وايما وجده وعلى اي دين كان والى اي قوم ينتسب . ولهذا ترى لهذه المخالطة تأثيراً عظيماً في الفاظ اللغة ومفرداتها ومركباتها .

ومن ثم ان انت انعمت النظر في لغتنا البغدادية وجدت فيها بقايا او آثاراً من جميع هذه اللغات اي انك تسمع بين الفاظها مفردات تركية وفارسية وكردية وهندية وانكليزية وفرنسية ورومية وايطالية والمانية وارامية وعبرية . ولعلك تجد ايضاً فيها من غير هذه اللغات الا انك اذا استقريت هذه الالفاظ الفيتها تكثر بالنسبة الى المتكلم بها ممن يخالط قوماً دون قوم . فان الحروف التركية مثلا تتوفر في لغة العسكري والمتوظف في الحكومة ولو كان عربي المنشأ والتجار . وذلك لكثرة مايسمع هناك من اللغة الرسمية وهي التركية . والهندية والفارسية تتدفق على السنة التجار ومن اخذ اخذهم . والانكليزية تكثر على السنة المتوظفين في البواخر لان اول من ادخل السفن التجارية في العراق كان الانكليز . والفرنسية تسمعها من طلبة المدارس واصحاب المحلات التجارية ولو لم يكونوا فرنسويين اي انك تسمع هذه اللغة من الالمان والنمسويين والايطاليين وغيرهم لان لغتهم التي

يتعاطون بها في تجارتهم هي الفرنساوية . والارامية تكون في لغة النصارى لاسيما في لغة اولئك الذين يأتوننا من شمالي الموصل اي من تلكيف والقوش وما جاورهما . وقس على هذا القياس الفاظ سائر اللغات .

وكل من طرق باب هذا البحث من الادباء المتأخرين اشار الى هذا التداخل تداخل اللغات الغريبة في لغتنا العربية البغدادية . الا ان بعضهم قصروا كلامهم على لغة وغضوا الطرف عن اللغة الاخرى التي لها ايضاً تأثير على لغتنا . اي انهم قالوا مثلاً : ان لغة عوام بغداد اقرب الى التركية منها الى العربية . وسكتوا عن دخول سائر اللغات فيها . ومنهم من قالوا مثل هذا القول الا انهم جعلوا الفارسية اوالافرنجية او الكردية الى غيرها بدلا من التركية . على ان الحق هو ان الفاظ بعض هذه اللغات تكثر على السنة قوم دون قوم على ما المعنا اليه بعيد هذا بموجب طبقات الناس وتفاوتهم في مخالطتهم للاعاجم .

فالى قشو الالفاظ الفارسية في لغتنا اشار واحدهم بقوله : (شعر)

ان العناكير ساهت بعدما سبزت . واستشرنت بعدما كانت طراشيش

ومعناه حرفاً بحرف هو : « ان » اداة توكيد . — « العناكير » بكاف فارسية جمع عنكور تصحيف انكور وهو العنب بالفارسية . وقد جمعت جمعا عربيا حملاً لوزنها على الاوزان العربية . — « ساهت » : اسودت وهي مشتقة من سياه الفارسية . والتاء للتأنيث . — « بعدما » عربية بمعناها المألوف . — « سبزت » : اخضرت من سبز بالفارسية . —

« واستشرت » حلت (من الحلاوة) وهي مشتقة من شرين الفارسية وهو الحلو . « بعد ما كانت » عربية مفهومة المعنى . « طراشيش » جمع طرش اى ترش معناها الحامض بالفارسية وقد جمعت جمعاً عربياً على هذه الصورة لزاوجة الوزن او لاقامته . ومحصل معنى البيت : « ان العنب اسود بعد اخضراره واحلولى بعد ان كان حامضاً . » وتكاد تجد جميع هذه الالفاظ فى كلام اهل بغداد من العوام . فمن ذلك بيت « انكورلى » لصاحب بيت شهير وكان فى السابق من باعة العنب اى عناباً ويقولون : « سياه بخت » اى اسود الحظ لمن كان سيء الطالع . ويسمون الخضراوات : سبزوات اوزوزوات . والشيرة عندهم : السكر المعقود اوالمطبوخ وهو الرب بضم الراء بالعربية . والطرشى عندهم الاثمار المخللة .

وزوق عيسى

ينبوع الشفاء [تتمة]

فلبى العبد سيده وودع مبارك اهله وولده وسافر مع مالك الى ديار مصر وما سارا زماناً الا واضلهما الطريق ملاك الله فاخذا يضربان فى البوادى ولا بادى يبدو لهما . كما انهما لم يقعا ابداً على طريق لاحب يؤدى بهما الى منزلة ترام . فاخذ العطش يفعل فى جوفيهما فعل النار فى الهشيم . وكانا فى الليل ينشران ردائيهما فى الهواء وعند الصباح ينهضان باكراً ليرطبا شفتيهما بوضعهما اياها عليهما . وما كانا يقوزان بشيء بل كانا كالقابض على الماء لانه ما كان يقع سدى ولا ندى فى تلك الفلوات المحرقة اوقل فى تلك الحرار الجهنمية .

فلما تأجج صدرها عطشاً واخذا يتلمظان عزما على نحر واحد من الابل فى وسط تلك الرمال المتوهجة المتقدة وشرب الماء الذى بجدانه فى معدته . ولما فعلا مانويا خاب مسعاهما اذ لم يجدا فيها قطرة ماء .

فقال حينئذٍ مبارك لعبده : واسوتاه! هل انى اخذتك الى هنا لاميتك . فلقد احييت نفسى فوق مايتصوره كل عاقل . ولقد غررت بنفسك على غير جدوى . وزد على ذلك انى اقر بانى قترت على عيالى كثيراً ذميما استنزل على كل البلايا وصبها على صباً . فهل من بعد هذا كله اتلف روحك واكون انا دائماً ذلك الظلوم الغشوم بعينه وانت لا تشكى ولا تتظلم ولا تتضجر بل تتبعنى بكل وداعة اتباع الفرار لامه . بل ولا تلومنى على شيء حينما لا اقابل احسانك بحسنة من الحسنات .

فقال له مالك : مالك ياسيدى ولم هذه الوساوس . وكيف لاأتبعك يامولاى الى القبر . الم آكل من خبزك وملحك واشرب من مائك ولبنك . الم أتنعم بالطيبات ايام السعد فلاذوق الخيبات يوم النحس؟ وكل املى ان ارى سيدى يفوز بالنجاة من هذه المفازة القاتلة وان يسعدنى ربى اليه ويضم مابقى من ايام حياتى الى ايامك لتعود الى عيالك قرير العين على الطائر الميمون . وانى اطلب هذا الى ربى لانى بدون اهل وولد . واما انت ياسيدى وسندى فان ذوبك ينتظرونك على احر من جمر الغضا .

وما نطق مالك بهذا الكلام الا وخر مغشياً عليه . فلما رآه سيده اخذ يتلوى من الالم ويحوى ثم ركع ساجداً واخذ يبتهل الى الله ويقول: اللهم اطلق روحى من سجنها وامتنى فى هذه البادية لانى لم اكن اهلاً

لاتلق منك تلك النعم والآلاء وها ان ثقل اوزاري يرهقني فلا يحق لي ان اعيش بعد هذا فدونك نفسي ، دونك نفسي !

ولما اتم كلامه خارت قواه واخذ ينتحب انتحاباً .

ومضى على هذه الحالة هنيهة من الزمان ثم تألقت غرته وبرقت اساريره وزالت غضون جبينه فابتسم عن ثغر كالاقحوان واخذ يتسمع ويتنصت . وبينما كان قد الصق اذنه بالارض اذا بصوت مبهم طرق اذنه ... وما زال يصغي له حتى تخيل له انه يسمع دوياً ، وهل الدوى من اثر الجوع ام من اضطراب في دماغه لافة اصيب بها ؟ ... وبعد التدقيق والتثبت تحقق ان لاوهم هناك وان تحت الارض خرير ماء يتدفق من عين ثرارة فهرول متتبعاً ذلك الهدير واذا به امام عين تتفجر زلالاً نميراً بل كوثراً وسلسبيلا فقام ورفع يديه واهل بذكر الله . وقبل ان يبل صداه فكر بوصيفه مالك الذي بقي صريعاً على الارض فملأ قدحاً من هذا الماء الزلال واخذ يسقيه منه جرعة بعد جرعة بعد أن بلل صدغيه وشفتيه حتى افاق . ثم قال له : « لست يامالك من الآن وصاعداً عبداً لي بل رفيقاً . فان عودتك الى الحياة هي بمنزلة تحرير لك فتعال واشكر الله معي على انه انقذنا من هذا الموت الزؤام .

فذهب كلاهما الى حافة العين وكرعا منها انفاساً ثم اوردا ابلهما فشربت حتى رويت . وحينئذٍ فتحا مزاودهما واكلا هنيئاً مريئاً وحمدا الله على هذه المنة التي لم يتوقعاها . ثم قال مالك لمبارك . بقي علينا الآن ان نبحث عن الطريق التي تؤدي بنا الى منف .

قال مبارك : لاحاجة لى الآن ان اذهب الى تلك المدينة بل فلترجع الى دمشق الفيحاء قال هذا : وحملا أثقالهما ورجعا الى الوطن العزيز ولما دخل داره طيب خاطر امرأته واولاده ببشاشة وجهه وتلألؤ جبينه .

فاهلت امرأته وقالت : بارك الله فى ذلك الرجل الذى شفاك من حزنك وغمك وهمك !

فقال لها مبارك : « يازهراء ، ان الذى شفانى هو الله نفسه لا ابن آدم . فانى لما تبطنت الصحراء وليس هناك مايتعلق به قلبى جردنى الله من حب الدنيا فاثبت فى التواضع ثم باحتمال تلك الداهية الدهماء على الرأفة بالقريب ومحبته . وعليه فلا اريد ابداً از اعيش كما عشت سابقاً اى ان لا اهتم الا بنفسى بل عقدت النية على محبة الغير والاهتمام بامرهم مصلحاً ماكنت قد افسدته وراتقاً ماكنت قد فتقته . »

والحق يقال : ان مباركاً منذ دخوله قصره المشيد اخذ بمساعدة الفقراء واطلاقهم وتسلية الحزانى وتطييب خاطرهم . ومنذ ذاك الحين تولد فى قلبه سرور لايشبهه سرور وايقن ان الفضيلة وحدها هى رسول السعادة والفرح وهناء العيش ورغده . ولم تحصر السعادة ببيته فقط بل امتدت الى حواليه ومنها الى ماوراء مسقط رأسه حتى بدأ الناس يقولون : ان مباركاً ليس مباركاً فى ثروته فقط كما فى السابق بل هو مبارك فى فضله وفضيلته وفواضله . »

وفى السنة الثانية ظعن مع عياله الى تلك الفلاة الشهيرة التى

وجد فيها الهدى والرعوى . وفى مجانب العين منزلا للمسافرين ودعا تلك العين « ينبوع الشفاء » . تمت

تاريخ وقائع الشهر فى العراق وما جاوره

(الاسرائيليون فى بغداد) للاسرائيليين فى بغداد عدة مدارس ومن جملتها مدرسة ثانوية اخرجت عدة طلبة نجباء وهى مدرسة التعاهد الاسرائيلى « (اليانس) وتدرس العلوم فيها باللغة الفرنسوية وهى ايضا لغتها الرسمية . وقد وقع اليوم خلاف بين الاسرائيليين فى ابقاء هذه اللغة بمنزلة لغة اصلية اوجعلها فرعية . فان الجمعية الصهيونية تريد نزعها وابدالها باللغة العبرية . وجمعية التعاهد الاسرائيلى تقاوم هذا التغيير اشد المقاومة . واخذت تجمع الاعانات لابقاء الامور على حالتها . واخذت الجمعية الصهيونية تقاومها بان شرعت هى ايضاً تجمع المال لتغيير هذا الامر . وقد قامت شركة اوجمعية ثالثة فى المانية لتكون بمنزلة الحكم بين الضرتين وتجعل اللغة الالمانية واجبة التدريس فى المدرسة المذكورة وتكون لغتها الرسمية ثم تعلم سائر اللغات بمنزلة السنة فرعية .

وقد نمى الى الزهور ان فى نية جناب مناحيم افندى انشاء مكتب ساحته ١٥٠٠ ذراع مربع وتكون غرفة تعميره من ماله الخاص ويجرى على المكتب ماله لير تمساتها ويودع ادارته الى جمعية التعاهد الاسرائيلى فعسى تزداد المدارس ويترقى العلم ويتنافس كل قوم باعلاء شانه ومجده .

(الامير ابن سعود واعراب العجمان) مازال الامير يطارد

العجمان حتى اضطروا الى دخول متصرفية الاحساء فتأثرهم الامير وخيم قريباً منهم . فاحتج عليه المتصرف والزمه بالرحيل وبان لا يتعرض لعشيرة العجمان فاجابه : ان طلبي للعشيرة هو لامر تعود فائدته على العموم لان هؤلاء الاعراب هجموا على الرجل الذي اسمه « ذوالنون » واخذوا اباعره ، ولما كان الرجل من رعيتي فانا اطلب ارجاع مانهب والامر يقي على هذا الوجه ويؤمل ان المتصرف يعيد اباعر الرجل المنهوب .

(عشيرة الضفير) عادت هذه العشيرة تمتار (تكتال) من قصبة الزبير بعد ظعن عشيرة بني مالك الى مربع العيث والفساد اي الغراف (عن الزهور)

(المتفق) لما سارت الباخرتان بالميرة والمؤونة الى المائسة لانجاد السعدون باشا واذلال العشائر المعادية له تحقق هؤلاء الاعراب ان الحكومة تذب عن حياضه انتصاراً له . فتجمهرت حينئذٍ جميع العشائر وهي : البدور ، وآل فرزي ، والجوارين ، والعاكرة ، والحسينات ، وآل ازيرق ، وسائر اعراب الشامية وغيرهم واحاطوا بالناصرية احاطة السوار بالمعصم وامطروا على السعدون ومن معه رصاصاً حامياً داوياً وما زالوا على هذا القتال حتى وصلوا الى ديار الصابئة (الصبة) فاحرقوا البيوت ونهبوا الاموال . ولما بلغوا الى خان « ابو ليره » داخل مركز الناصرية اتخذوه حصناً لهم . فلما رأى الاهالي هذا المشهد ايقنوا بالهلاك ولهذا اوفدوا الى المحاصرين جمعاً من اكابرهم يسئلون عما

يريدون من عملهم هذا . فاجابوهم انهم يريدون اكراه سعدون على الخروج من الناصرية والا فهم مصرون على نهب الناصرية واتلافها وقتل من فيها على آخرهم .

والظاهر انهم لا يرجعون عن عزمهم لانهم اقاموا جماعة منهم على محل من نهر الفرات يقال له « ابو جداحة » وهو مشرف (مسلط) على الناصرية حتى انه اذا كسر مقدار شبر من سدته غرقت الناصرية باسرها . وكان قصدهم اغراقها بعد نهبها وقتل اهلها واحراقها .

وحينئذٍ اعطوهم هدنة (عطوة) ثلاثة ايام ليخرجوا في مدتها سعدون باشا من الناصرية . واتفق انه في اليوم الثاني قام احد رؤساء المركز وهو السيد زيدان لبنى منافذ الطرق والازقة فظنت العشائر الهاجمة انها كمينة ومكيدة فثاروا ثائرة عظيمة ودخلوا مركز اللواء ونهبوا الدور وقتلوا من الاهالي نحو ثلاثين نفساً وقتل من العسكر عشرة رجال ، واما الاعراب فقتل منهم نحو عشرين نفساً .

وفي اليوم الثالث اكرهت الحكومة سعدون على الخروج من مقره فخرج ذليلاً بحماية آل ابراهيم واوصل الى محل مزيد باشا ابن عمه فهو الآن عنده كالمستجير به .

ولا زالت الحرب على ساق لان المتصرف امر بحبس « نجيدي » من آل جاسم زاعماً انه هو سبب هذه الفتنة . والعشائر تريد اطلاقه كما تريد اخراج السيد زيدان من الناصرية لانه من خواص سعدون .

وطريق الناصرية يكاد يكون الآن مقطوعا ولا يجسر احد على

ان يمر به لكثرة اطلاق الرصاص فيه .

ومن اشد مايروى بخصوص التنكيل ان قوماً من آل الزبرق قبضوا على جنديين من عساكر الحكومة ودفنوهما الى صدريهما وجاء الاعراب يعذبونهما انواع العذاب وهما يستغيثان بكل مار بهما .

وكان في نية الحكومة ان تجهز اربعة طوابير لحل هذه المشكلة التي وقعت بين السعدون واعدائه . وفي الاخر اكتفت بإيفاد وفد من امراء العساكر والضباط ومن موظفي الملكية تسمى « الهيئة التحقيقية والاجرائية » لاصلاح ذات البين فعسى ان تكون النتيجة حسنة حقناً للدماء وحباً بالامن والسلام .

(عن الرصافة والزهور بتصرف قليل)

(هجوم اعراب على جابي البأج) قريباً من بغداد على منحدر دجلة قرية اسمها البغيلة مصغر بغلة . وقد ذهب جابي البأج (وهو مأمور الكومه بلسان العوام) واسمه مصطفى بك ومعه خمسة من الفرسان المسلحين (من سوارية الجاندرمه) لجباية غنم عشيرة اعراب السراية فوجدها قد هربت الى ناحية عشيرة الخوالد في ارض (ابو جاموس) قرب اراضي الامير « نفي » وبينما هو سائر نحوها اذ اقبل عليهم قوم من عشائر البادية واطلقوا على الجباة رصاصاً حامياً فاصيب واحد من الجندرمة وتوفي قبل ان يصل ناحية البغيلة بمسافة ساعتين ولا شك ان مثل هؤلاء الاعراب يستحقون العقاب الرادع لهم عن الامعان في غيهم (عن الرياض بتصرف)